

الخاتمة

عرضت في هذه الدراسة لشاعر مشهور من شعراء العصر الأيوبي ، وهو بهاء الدين زهير ، وقد ركزت على دراسة حياة الشاعر في مراحلها المختلفة ، وعلى إنتاجه الشعري ؛ فجاءت الدراسة في أربعة فصول : درست في الفصل الأول رحلة حياة البهاء الذي ولد في الحجاز ، وعاش هناك جزءاً من صباه ، ثم ارتحل إلى مصر حيث تفتحت موهبته الشعرية . واتصل بالملوك والأمراء ، من لمطيين وأيوبيين وبغيرهم من الوزراء والولاة ، واشتغل في خدمة بعضهم ؛ فعمل كاتباً للأمير مجد الدين اللمطي ، ثم كاتباً فرئيساً لديوان الإنشاء للملك الصالح نجم الدين أيوب ، وبهذا هياً لنفسه مجداً أدبياً ومجداً شخصياً . وقضى حياته في مصر يرتحل عنها في بعض المهمات ليعود إليها إلى أن قضى نحبه فيها سنة ٦٥٦ هـ .

أما في الفصل الثاني فعرضت لثقافة البهاء الذي كان واسع المعرفة ، مُلمّاً بعلوم عصره وثقافته وقد وصفه ابن خلكان بقوله : " من فضاء عصره وأحسنهم نظماً ونثراً وخطاً . وقد بينت أثر هذه الثقافة بجوانبها المختلفة في شعره .

وتتبع في الفصل الثالث رحلة ديوان البهاء الذي ذكره غير واحد من القدماء ، ثم تعرضت لجهود الدارسين المحدثين الذين عنوا بديوان البهاء وتحقيقه ، ووصفت ما أمكنتني العثور عليه من هذه الطبقات ، ومن هذه الطبقات طبعة الحجر التي صدرت سنة ١٢٧٧ هـ ، وطبعة كمبردج ، بعناية المستشرق الألماني (هنري سامر) سنة ١٢٩٢ هـ ، وطبعة العامرة ، سنة ١٢٩٧ هـ ، وطبعة العامرة الشرفية ، سنة ١٣٠٠ هـ ، وطبعة الموسوعات سنة ١٣٢٢ هـ ، وطبعة دار صادر سنة ١٩٦٤ م ، وقصدت كانت طبعة دار المعارف آخر طبعة صدرت لديوان شعر البهاء ، وقد عني بتحقيقها أبو الفضل إبراهيم ومحمد طاهر الجبلاوي . وهي أتم الطبقات من حيث الكم ، ومن حيث الكيف . وعلى هذه الطبعة ، كان اعتماد الرئيس .

وفي الفصل الرابع ، درست أهم الموضوعات الشعرية التي نظم فيها البهاء من مديح وغزل ورثاء وحنين هجاء ووصف .

أما الفصل الخامس ، فوفقت فيه عند فن البهاء الشعري ، وذكرت فني بدايته آراء بعض القدماء والمحدثين في شعر البهاء ؛ فمن القدماء استحسن هذا الشعر ، ومنهم - وهم قليل - من استهجنه . وقد حاولت أن أدلني بدلوي في هذه المسألة .

ثم تحدثت عن السهولة في شعر البهاء ، وذكرت تعريف ابن حـجـة الحموي للسهولة ورأيه في البهاء وشعره ، وهو يأتي عنده في طليعة الشعراء الذين تنسم أشعارهم بالرفقة والسهولة . وبيّنت أن البهاء استطاع أن يمازج في لغته الشعرية بين الفصيحة والعامية ؛ فجاءت ألفاظه سهلة ، لا تستغلق معانيها على القارئ . ثم استقام لي أن البهاء كان شاعر طبع لا شاعر صنعة ؛ فقد كان شديد الولوع بالمعنى ؛ ولهذا عدّ زعيم مدرسة المعاني في عصره . وتحدثت عن الصورة الشعرية عند البهاء ، وبيّنت من خلال الأمثلة ، كيف أن البهاء وفسق في رسم كثير من الصور الشعرية في قصائده . ثم تعرضت للأسلوب القصصي عند البهاء ، ودرست بناء مقدمة القصيدة في شعره ، فرأيت أن المقدمة ليست لازمة ضرورية عنده ؛ فهو لم يُعِن بالمقدمة إلا في قصائد المديح التي غالباً ما كان يستهلها بمقدمات غزلية . ثم بيّنت قدرة الشاعر على حسن التخلص من المقدمة إلى الغرض الأساس في القصيدة . ورأيت في بعض شعر البهاء تحقيقاً لبعض جوانب الوحدة العضوية الرئيسية .

ولا أدعي الكمال في بحثي هذا ، فهو لله وحده ؛ فإن أصبتُ فبِـــه
ونعمت ، وإلا فقد يغفر لي أنني لم أقصر في جهد ؛ والله الموفق .